

حيث ما يزهو الشعر يندثر الطغاة

" لقاء مع الدكتور الزين عباس عمارة عام 2001 بصحيفة ألوان السودانية "

الدكتور الزين عباس عمارة مدير مستشفى الطب النفسي بابوظبى الكاتب والباحث والشاعر الذي لمع في زمان النجوم والغناء ثم حولته الاسفار الي حنين متحرك صوب تداعيات شعرية فصيحة ، بيد انه قريب من البوح اللحني فى قصاصات شغلته تداخلات العام والخاص في حياته الموزعة بين هذا العالم الفسيح الذي احتقي به واختاره ضمن اهم الشخصيات في مجال الطب والفكر الانساني فنا وادبا وبحثا ، فكان ان منح قبل اكثر من عام جائزة (Global 500) ، وانهاالت علينا تباشير ذلك الاختيار علي اكثر من صعيد محتفل ... ثم لما عاد هذا في هذا الخريف مستكينا بمنزله المطل على الشارع العام ، وجدناه كعادته محاصرا بالمواعيد والاوراق ، فاقطفنا من الحوار الذي لم يكتمل بعد هذه (الدردشة) الصباحية :

■ ثرثرة أولي عن الغياب والمكان والطيور المهاجرة ؟

أولا اشكرك على هذه التحية و ارد لك باجمل منها ، ويبدو انك كثير السؤال عني ولست انا كثير الغياب ، ورغم انك لست ابن الزمان الذي ولدت فيه ، ولكن ابن الساحة التي أعيش فيها .. واقول هذا ليس تبريرا للغياب ، ولكن تأكيدا لان طوال هذه العقود ما غاب السودان عن البال وما رحل عن الذاكرة . وكنت الراحل المقيم ، لا اشد رحالي الا لاعود بعد عام أو عامين شأنى شأن الطير المهاجر كما يقول صلاح احمد ابراهيم .. وحتى اكون اكثر تحديدا واشد دقة ، فهذا المسكن الذي اعيش فيه كان اول شجرة تعود فيها الطيور المهاجرة علي امتداد هذا الشارع الطويل الذي يربطنا بالنيل فى آخره ، واول الطوابق التي تدخلها الكهرباء . وحتى لا يكون ذلك تاريخا كان الناس فى اركويت يحددون مواقعهم من امام او خلف بيتنا ، حتى ان صديقى المهندس حسن بشير سراج مدير الهيئة القومية للمياة السابق قال لى ان الناس يتوقون لصاحب ذلك البيت ، وقد تم بناؤه وسكنت فيه منذ عقدين ومنذ تاريخها وانا احضر للسودان مع اسرتى اقضي فيه بضعة ايام او اصل فيها ما انقطع من الارحام ، وما زالت هذه الطوابق خالية على عروشها لا يسكنها احد الا حينما اعود اليها ولهذا البيت نفسه قصة .

■ غطت البحوث والاسفار والطب على الشاعر .. ثم تحولتم الي قصائد الذات والمناسبات والاسرة

وحدثت نقلة في الحنين ؟

يقول المثل (البعيد عن العين بعيد عن القلب) وان الاسفار والبحاث والطب لم تغط علي شعريتي بقدر ما اثرى هذا الوجدان وقوي عودي وصقل موهبتي واكسبني تجارب كثيرة ربما غابت عن النشر او ضلت طريقها لوصول من يعينهم الامر من الفنانين والكتاب والشعراء والمهتمين وجمعهم تربطني بهم علاقات شخصية كنت وما زلت اعتز بها .. ان الاشياء التي كانت حيننا معذبا ما زالت تعذبني حتي الآن ولو قرأت مقدمة آخر دواويني

(المرايا المهشمة) الذي نشرتم بعضا منه ، تجد تبريرا موضوعيا الي النزوع لاشعار المناسبات والذات والاسرة .. اولها حالة الرفض لما هو كائن لما ينبغي ان يكون .. حتي اشعارنا الحنينة عن فلسطين في قصائد الستينات ترهلت واهترأت وتساقطت ، ويمكن الرجوع الي الارشيف في مجموعتي (قصائد عن فلسطين) لتجد كيف تحولت لاءات الخرطوم الي نداءات القدس ... والانكفاء علي الذات هو وقفة تأمل وليس ردة . فمن خلاله استبطن ما بداخلى واستشرف ما يخبئه لنا المستقبل .. وحديثى عن الاسرة لانني في الماضي كنت اسير ذاتي ولكنني فى الحاضر كفيل اسرتي ، ومن خلال قصائدي لهم اجد مخرجا في البوح بما لا يمكن الحديث عنه علانية .. وثمة اشارات صوتية وضوئية .. اما النقلاات فهي تقطيع المراحل لان حياتى ليست وتيرة واحدة وانما رحلة طويلة مليئة بالمحطات التي تؤثر وتتأثر بالبيئة التي اعيش فيها والتحويلات اتعايش معها وهذا قدر المصالحة وع النفس ...

■ وما يزعجك داخليا وخارجيا يغير (المرايا المهشمة) ؟

المرايا المهشمة في حد ذاتها تعبير عن الواقع المتصدع الذي اذا حاولت ان تجمعه وتجر كسوره فقد تستعيد إطاره ولكنك لن تستطيع ان تعيد روعة الاصل . وما يزعجني علي المستوى الداخلي ازمة السودان بين مطرقة الاحتراب وسندان الاضطراب .. نتحدث عن السودان وننسى اننا نتكلم عن قارة بكل ما فيها من الثروات .. يكفي ان يكون سلة غذاء العالم ويتصارع فيه الناس علي لقمة العيش مثل الحرب الدائرة في الجنوب .. وكنت اقول كثيرا في مرات سابقة (وارجو الرجوع لكتبي ودواويني) اننا نتقاتل ونحترب في الداخل عن شمال جنوب واخشي ان يأتي اليوم الذي لا نجد فيه السودان نفسه .. وعلي الصعيد الخارجي يزعجني سلوك الغفوة ونهج الغفلة عن ما يدور في الخارج وما يدور للسودان في مصالحات العولمة وحقوق الانسان وحقوق المرأة وقد ذكرت هذا في المرايا المهشمة ..

■ د . الزين يدعو ويبشر بـ (عكاظ) بلا جاهلية علي المستوي الشعري فكيف هذا في ظل الطغاة والهبوط العام ؟

اولا انني ابشر بولادة جديدة للشعر او مستقبل الشعر .. فقد علمنا تاريخ الشعر العربي منذ المتنبئ ان حيث ما يزدهر الشعر يندثر الطغاة فهو السياط التي تلهب ظهور المتسلطين علي رقاب العباد وقد كان وسيظل كذلك - يبدو انه عاش غريبا ومات غريبا فطوبي للغرباء ...

■ نلتم شرفا رفيعا بنيلكم لجائزة عالمية - بماذا تفسر سرا احتفاء الخارج بنا وتهميش الداخل لنا ..؟

حقيقة ان (زمار الحى لا يطرب) وقد يكون في اكثر من بلد عربي ليس وقفا علي السودان وحده .. واستطيع القول بان هنالك كثيرين في السودان هم أجدر مني بهذا التكريم والاحتفاء ولكن لم يسمع أحد صوته ولم يرفع احد صورهم ليراها العالم الآخر . ولكن هذا لا يجعلنا ندفن رؤوسنا في الرمال ونمارس قدرا من النقد الذاتي لاننا لا نكرم المبدعين ولا نحتمي بالموهوبين اكثر مما كنا نعمل في حفل التأبين الذي نكتب فيه القصائد .. وهذا قدر الشعر .. وربما يهدى احد المسؤولين قطعة ارض لاسرة الفقيدي لتقيم عليها منزلا يقف شاهد صدق علي ظلم الانسان لآخيه الانسان .

■ في احدي قصائدك تتهم الشمال بالعنصرية (قدر الجنوب تخلفا ومجاعة .. فكي انصياعا للشمال العنصرى) ؟

بعد ان ضحك الرجل قال : (اعرف انك تبحث عن الاثارة وربما وافيتك بها الجزء الآخر من الحوار) .. ثم ان هذه القصيدة التي تتحدث عنها اسمعها (الشجن الجديد) وهي تدور في فلك ما تسميه انت قصائد الذات والاسرة التي ذكرتها .. وهي اشارة موجهة لابنى الذي ينوى الاغتراب لـ (كندا) للحصول على تجربة علمية وربما جواز سفر اجنبي يستطيع التجول به بحرية في انحاء العالم المتقدم في ظل الحصار الذي نعيش فيه (كنصف جنوبي متخلف) من الكرة الارضية ، والذي يبدو اكثر وضوحا في نهج العولمة التي تضع خطوطا فاصلة وحدودا وهمية في جنوب العالم .. بينما تفتح الابواب على مصرعيها لاهل هذا الجنوب للنزوح شمالا.. وهذه احدي الهواجس التي تسكت عقول هذا الجيل ..

■ في عجالات الحضور ماذا ياخذ منك الوطن ؟

انني لا امتن علي الوطن فهو اعطاني وجودي وهويتي وانتمائي - ويعطيني في عجالات الحضور مثل هذه الفرصة لاقول (وطن النجوم انا هنا .. حقد اتذكر من انا . الخ ..)

■ د . الزين شكرا لك وسنعود اليك .

شكرا .. وساواصل معكم باذن .